السَّعْيُ الفاسد وصُوَرُه في القرآن الكريم

محمد بن سعد القرني [1]

الملخّص

يتناول البحثُ أحدَ موضوعات القرآن الكريم؛ وهو السعيُ الفاسدُ وصُوَرُه في القرآن الكريم، فالبحثُ يجيب عن مشكلةٍ، وهي: ما هي صُوَر السعي الفاسد في ضوء القرآنِ الكريم؟ وتتَّضح أهميَّةُ الموضوع في أنَّ الإنسان يحتاج إلى معرفة السعي الفاسدِ؛ حتى لا يقعَ فيه، فيهلك في الدنيا والآخرة. ومنهجُ البحثِ هو المنهج الاستقرائي باستخراج الآيات القرآنيَّةِ التي تتحدَّث عن السعي الفاسد، ثم تصنيفُها، وبيانُ ما وَرَدَ من كلام العلماء حول تلك الآياتِ. وقد خرج البحث بعدَّةِ نتائجَ، منها: أنَّ السعي في القرآن الكريم ثمانيةُ أنواعٍ، وأنَّ هذه الأنواع قد تَصدُر من الكافر، أو المُشرِك، أو اليهودي، أو الفاسد. ومن التوصيات: بيان أهمية التفسير الموضوعي في دراسة الألفاظ القرآنيَّة، واستخراج الحكم للعمل بها.

الكلمات المفتاحية: السعي، الفاسد، صور.

[1] استاذ مساعد في قسم القراءات، جامعة أم القرى. <biotabuomair@gmail.com>

The corrupt saa’i and its images in the Noble Qur’an

MOHAMMED SAAD ALQARNI

Abstract

extract It deals with one of the topics of the Holy Qur’an; It is the corrupt saa’i and its images in the Noble Qur’an, The research answers a problem, which is: What are the images of the corrupt pursuit in the light of the Noble Qur’an? The importance of the topic becomes clear that a person needs to know the corrupt saa’i so that he does not fall into it. He will perish in this world and the hereafter. The research method is to extract the Qur’anic verses that speak of corrupt pursuit, classify them, and clarify what was mentioned by scholars about those verses. The research came out with several results, including: that striving at the same time is the most complete type, and that these types may come from the infidel, the polytheist, or the corrupt. And then the effect of objective interpretation in studying the Qur’anic words and extracting the ruling to work with them.

Keywords: pursuit, rotten, pictures,

المقدمة:

الحمدُ لله الرحيمِ الرحمن، والصلاةُ والسلام على سيّدِ ولدِ عدنان، وعلى آله وصحبه ومَن تَبِعَهم بإحسان.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ القرآن الكريم هو زادُ العبادِ لِمَا فيه نجاتُهم يومَ المعاد، وسعادتهم في حياتهم على الأرض المِهاد، وممَّا بيَّنَه القرآنُ العظيم، ما ينبغي للإنسان فِعلُه والسعيُ فيه حتى يفوزَ بالسعادة في الدارَيْن، ومن هذا المنطلَق رأيتُ أن أكتب في موضوع السعي الفاسدِ وصُوَرِه في القرآن الكريم؛ حتى يتجنَّبَ الإنسانُ هذه الأمورَ التي فيها شقاؤه في الدنيا والآخرة، ويستبدلها بالسعي فيما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ؛ وقد جعلتُ البحثَ في: مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث. أمَّا المقدِّمةُ؛ فقد بيَّنتُ فيها سببَ اختيارِ الموضوع، وأمَّا التمهيدُ؛ فقد جعلتُه في تعريف السعيِ لغةً واصطلاحًا، وأمَّا المباحث الثمانيةُ؛ فهي كما يلي:

المبحث الأول: السعي إلى ادِّعاء الألوهيَّةِ.

المبحث الثاني: السعي إلى إبطال آيات الله تعالى.

المبحث الثالث: السعي في خراب مساجد الله.

المبحث الرابع: السعي إلى الإفساد في الأرض وإهلاك الحرثِ والنَّسْل.

المبحث الخامس: السعي لترويع الآمِنِين (قطع الطريق).

المبحث السادس: السعي الضَّالُّ بحسبان القبيح حسنًا.

المبحث السابع: سعيُ اليهودِ بالإفساد في الأرض.

المبحث الثامن: السعي إلى البُخل بإعطاء الحق.

مشكلة البحث:

سيجيب البحث – إن شاء الله – عن: أن السعي في القرآن نوعان، سعي صالح، وسعي فاسد، والبحث سيتكلم عن السعي الفاسد، وصوره، وطرق الوقاية منه.

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستقرائي لصور السعي الفاسد في القرآن الكريم، وأقوال المفسرين.

أهمية البحث:

يكتسب البحث أهمية من حيث إنه

1- يتعلق بكلام الله عز وجل.

2- يتناول موضوعًا يعيشه المسلم في يومه وليلته، فسعيه إما أن يكون صالحًا، وإما أن يكون فاسدًا.

3- يعين المسلم على تجنب السعي الفاسد، والعمل بضده، وهو السعي الصالح.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في محركات البحث على الشبكة العنكبوتية، وجدت بحثًا واحدًا، وهو بعنوان (السعي في القرآن الكريم – أنواعه، وأهدافه)، للدكتور/ شعبان رمضان محمد، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية في غزة، المجلد 25، العدد 20 (2017م).

ويمكن تلخيص الفروق بين هذا البحث وبين عملي فيما يلي:

1- أن البحث السابق عام في أنواع السعي في القرآن الكريم.

2- أن بحثي اقتصر على السعي الفاسد فقط.

3- أن الدراسة السابقة اقتصرت على ذكر أنواع من السعي الفاسد، ولم تشمل جميع الأنواع التي ذكرتها في بحثي.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

التمهيد

تعريف السعي لغةً واصطلاحًا:

السعيُ لغةً: من "سَعَى يَسْعَى سعيًا؛ إذا عَدَا.. والسعيُ: العملُ والكسب"[2].

"السَّعْيُ: المشي السّريع، وهو دونَ العَدْوِ، ويُستعمَل للجَدِّ في الأمر، خيرًا كان أو شرًّا..، وأكثر ما يُستعمَل السَّعْيُ في الأفعال المحمودة"[3].

و"أصلُه: السرعةُ في المشي، ثم استُعمِل في غيره"[4].

"وأصلُ السعيِ: الإسراع في المشي، ويُطلَق على الإصلاح والإفساد، يقال: سعى في أمر فلانٍ؛ إذا أصلَحَه، أو أفسَدَه بسَعْيِه فيه"[5].

"والسعيُ مستعارٌ للاجتهاد في العمل؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢﴾ (النازعات: 22)، وإذا عُدِّيَ بـ(في)، كان في الغالب مرادًا منه الاجتهادُ في المَضَرَّة"[6].

والسعيُ اصطلاحًا: والمقصود هنا المعاني التي وردت في القرآن الكريم، وهو -السعي- في القرآن على خمسةِ أوجُهٍ:

الوجه الأول: المشي، قال الله -تعالى-: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: 9).

الوجه الثاني: العمل، قال الله -تعالى-: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ (النجم: 39).

الوجه الثالث: السرعة، قال الله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨﴾ (عبس: 8).

الوجه الرابع: المبادرة بالنِّيَّةِ والعَزْم؛ قال الله -تعالى-: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ (الجمعة: 9).

الوجه الخامس: الإسراع إلى البِدَع ومذاهبِ السُّوءِ؛ قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ (المائدة: 33)[7].

---

[2] ابن فارس، أحمد بن فارس، **مجمل اللغة**، باب السين والعين وما يثلثهما، ص460-461.

[3] الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ص411.

[4] العسكري، الحسن بن عبد الله، **الوجوه والنظائر**، مادة (سعى)، ص249.

[5] الألوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني**، ج9، ص164.

[6] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج22، ص218.

[7] العسكري، الحسن بن عبد الله، **الوجوه والنظائر**، ص249؛ البريدي، أحمد بن محمد وآخرون، **موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ج1، ص645.

المبحث الأول: السعيُ إلى ادِّعاءِ الألوهيَّة

وهذا هو أعلى صُوَرِ الفساد؛ حيث يدَّعي عبدٌ مخلوقٌ ضعيفٌ ما هو من خصائص المعبودِ الخالقِ القويِّ! وقد ذكر الله –عزَّ وجلَّ– هذا القولَ على لسان فرعونَ في سورة النازعات، قال الله –تعالى–: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾ (النازعات: 17–26).

"يقول تعالى ذِكرُه لنبيِّه محمدٍ صلَّى الله عليه وسلم: هل أتاك يا محمدُ حديثُ موسى بن عمران؟ وهل سمعتَ خبرَه حين ناجاه ربُّه بالوادِ المطهَّرِ المبارَكِ أنِ اذهب إلى فرعونَ؛ فإنَّه عَتَا وتجاوَزَ حدَّهُ في العدوان، والتكبُّرِ على ربِّه!

فقل له: هل لك إلى أن تتطهَّر مِن دَنَسِ الكُفْر، وتؤمِن بربِّك؟

وهل لك إلى أن أُرشِدَك إلى ما يُرضي ربَّك، ﴿فَتَخۡشَىٰ﴾ ؟ يقول: فتخشى عقابَه بأداء ما ألزَمَك من فرائضه، واجتناب ما نَهَاكَ عنه من مَعَاصِيهِ؛ فدلَّلَ موسى –عليه السلام– على أنَّه رسولٌ من عند الله عزَّ وجلَّ، فأرى فرعونَ الآيةَ الكبرى، وهي يَدُ موسى؛ إذ أَخرَجَها بيضاءَ للناظِرِين، وعصاه؛ إذ تحوَّلت ثعبانًا مُبِينًا، فما كان من فرعونَ إلَّا أنْ كذَّبَ موسى فيما آتاه من الآيات المعجِزةِ، وعصاه فيما أَمَرَه به؛ من طاعتِه ربَّه وخشيتِه إيَّاه، ثم ولَّى مُعرِضًا عمَّا دعاه إليه موسى؛ من طاعته ربَّه، وخشيتِه وتوحيدِه﴿ وَهُوَ يَسۡعَىٰ ﴾؛ أي: يعمل في معصية اللهِ وفيما يُسخِطُه عليه، فجمع قومَه وأتباعَه، فنادى فيهم قائلًا لهم: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ الذي كلُّ ربٍّ دوني! وقد كذب في قوله؛ فعاقَبَه الله على قوله في المرَّةِ الأخيرة: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾، وعلى قوله في المرَّةِ الأولى: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ (القصص: 38)، وقد قيل: إنَّ بين المقالَتَيْنِ أربعين سنةً، ثم ذكر –سبحانه وتعالى– أنَّ في العقوبة التي عاقَبَ بها فرعونَ عِظَةً ومعتبَرًا لِمن يخاف الله ويخشى عقابَه"[8].

وبعد هذا التفسيرِ المجمَلِ للآيات الكريمات التي وردت في سياق سَعْيِ فرعونَ في الباطل، وأبطلُ الباطلِ هو ادِّعاءُ الربوبيَّة والألوهيَّةِ الخاصَّتَيْن بالله تعالى، وفرعونُ قد سَعَى في أعمالٍ كثيرةٍ باطلةٍ، وهو

[8] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري**، ج24، ص199–201.

يجدُّ في معارضةِ الآيةِ بالمَكَايِدِ الشيطانيَّةِ والحِيَل النَّفسانِيَّة[9]، ومنها: أنه سعى "في مقابلةِ الحقِّ بالباطل، وهو جمعُه السَّحَرةَ ليقابِلُوا ما جاء به موسى –عليه السلام– من المعجزة الباهرة"[10].

وكذلك سعى "بالفساد في الأرض. وقيل: يعمل في نكاية موسى. وقيل: أَدْبَرَ يسعى هاربًا من الحيَّةِ"[11].

"والعملُ الذي يسعى إليه، يُبِيِّنُه قولُه تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٤﴾ فتَلاَتُّها مُرَتَّبَةٌ على (يسعى)"[12].

وجِيءَ بحرف العطف (ثم) في قوله تعالى: {ثم أدبر يسعى}؛ لأنَّ إبطال ذلك ونقضَه، يقتضي زمانًا طويلًا"[13].

و"أنَّ مضمون الجملةِ المعطوفةِ بها، أعلى رُتبةً في الغرض الذي تضمَّنَتْه الجملةُ قبلَها؛ أي أنَّه ارتقى من التكذيب والعصيان إلى ما هو أشدُّ، وهو: الإدبارُ، والسعيُ، وادِّعاءُ الإلهيَّةِ لنفسه؛ أي بعدَ أن فكَّر مَلِيًّا، لم يقتنع بالتكذيب والعصيانِ، فخشي أنه إن سَكَتَ ربما تَرُوجُ دعوةُ موسى بين الناس، فأراد الحِيطَةَ لدَفْعِها، وتحذيرِ الناسِ منها"[14].

---

[9] القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ج9، ص400.

[10] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج8، ص315.

[11] القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير القرطبي**، ج19، ص202.

[12] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج30، ص79.

[13] الألوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني**، ج15، ص231.

[14] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج30، ص79.

المبحث الثاني: السعيُ إلى إبطال آياتِ اللهِ تعالى

وَرَدَ ذلك في ثلاثِ آياتٍ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١﴾ (الحج: 49-51). وقوله تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ ﴾ (سبأ: 4-5). وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ ﴾ (سبأ: 37-38).

الآياتُ الثلاث جاءت مباشرةً بعد الحديث عن المؤمنين الذين عمِلوا الصالحات، وأنَّ جزاءهم المغفرةُ والرِّزقُ الكريم، ومضاعفةُ الجزاء، والأمنُ في الغُرُفات؛ وبعد الحديث عن آياته، "وصَدِّ الناس عنها مشاقِّين ومعارضين للمؤمنين، فكلَّما طلبوا إظهارَ الحقِّ طلب هؤلاء إبطالَه، وعلى قراءة: (مُعَجِّزِينَ) بتشديد الجيم[15]، أنَّهم عجَّزوا الناسَ وثبَّطُوهم عن اتِّبَاعِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالقرآن، وكلتا القراءتين متقاربةُ المعنى؛ وذلك أنَّ مَن عَجَّز عن آيات الله، فقد عاجز الله. ومن معاجزة الله التعجيزُ عن آيات الله، والعملُ بمعاصيه، وخلافِ أمرِه"[16].

وأصلُ {معاجزين}، من عاجَزَه فأَعجَزَه وعجَّزَه، إذا سابَقَه فسَبَقَه؛ لأنَّ كلًّا من المتسابِقَيْن يطلب إعجازَ الآخَر عن اللحوق به"[17].

ومناسبةُ آيةِ سورة الحج لِمَا قبلَها: أنَّ الله –عزَّ وجلَّ– أَمَرَ نبيَّه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ ﴾ (الحج: 49).

"ثم وصف مَنْ قَبِلَ إنذارَه وآمَنَ به، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: منكم ومن غيرِكم، ﴿لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ ﴾؛ أي: سترٌ من الله على ذنوبهم التي سَلَفَتْ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾؛ أي: الجنة.

ثم وصف مَن لم يَقبَل إنذارَه وتمادى على كُفرِه، فقال: ﴿والذين سَعَوْاْ في آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾"[18].

---

[15] وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو. ينظر: الداني، عثمان بن سعيد، **التيسير في القراءات السبع**، ص158؛ ابن الجزري، محمد بن محمد، **تحبير التيسير في القراءات العشر**، ص472.

[16] القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ج7، ص253- 254.

[17] البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج4، ص75.

[18] مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج7، ص4912.

وكذلك " أنَّه تعالى لَمَّا بيَّن للرسول صلى الله عليه وسلم أنه يجب أن يقول لهم: أنا نذير مبين؛ أَردَفَ ذلك بأن أمره بوعدهم ووعيدهم؛ لأنَّ الرجل إنما يكون منذرًا بذكر الوعد للمطيعين والوعيد للعاصين"[19].

وفي التعبير بـ(سَعَوْا) الدلالةُ على أنَّهم "بذلوا الجهدَ في إبطالها، فسَمَّوْها تارةً سِحرًا، وتارةً شِعرًا، وتارةً أساطيرَ الأولين"[20]. والسِّرُّ –والله أعلم– في التعبير بالماضي (سعوا)، أنه "لمَّا كان في سياق الإنذار، قال معبِّرًا بالماضي زيادةً في التخويف: {والذين سعوا}؛ أي: أوقعوا السعيَ ولو مرةً واحدةً بشُبهَةٍ من الشُّبَهِ ونحوِها"[21].

ثم بيَّن –سبحانه– جزاءَهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾؛ أي أنَّ أولئك البُعَدَاء والبُغَضَاء الذين هذه صفتُهم؛ هم سكان جهنَّمَ يوم القيامة، وأهلُها المستحِقُّون لها بما سَعَوْا؛ ليعلموا أنهم هم العاجزون، هذا في الآخرة، وسيُظهِر –سبحانه– في الدنيا أيضًا عجزَهم؛ بكَشْفِ شُبَهِهِم، ورَفْضِ القلوبِ النَّيِّرَةِ لها، مع ذُلِّهِم وانكسارهم، وهوانهم وصَغَارِهم"[22].

ومِن أحسنِ ما يُفسِّر هذه الآيةَ، ما جاء في الحديث الصحيحِ، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنِي وَأَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ! فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، وَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ، وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ من الحقّ»[23].

أمَّا الموضع الثاني؛ وهو آية سورة سبأ في الآية الخامسة، فسأذكر فيها ما تنفرد به عن آية سورة الحج، قال الله –تعالى–: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ (سبأ: 3-5).

"هذه إحدى الآياتِ الثلاث، التي لا رابعَ لهنَّ ممَّا أمر الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يُقسِمَ بربِّه العظيمِ على وقوع المعاد، لَمَّا أنكَرَه مَن أنكره من أهل الكُفرِ والعِناد؛ فإحداهُنَّ في سورة يونس:

---

[19] الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج23، ص235.

[20] الألوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني**، ج9، ص164.

[21] البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج13، ص68.

[22] **المصدر نفسه**، ج13، ص69.

[23] مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، رقم 2283، ج4، ص1788.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ٥٣ ﴾ (يونس: 53)، والثانية هذه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾، والثالثة في التغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ (التغابن: 7)، فقولُه: ﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾، ثم وصفه بما يؤكِّدُ ذلك ويُقَرِّرُهُ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾؛ فهو –سبحانه– لا يغيب عن عِلمِه أحدٌ؛ فالجميعُ مُنْدَرِجٌ تحت علمه، فلا يَخفَى عليه منه شيءٌ؛ فالعِظامُ وإن تلاشَتْ وتفرَّقت وتمزَّقت، فهو عالِمٌ أين ذهبت وأين تفرَّقت، ثم يُعِيدُها كما بدأها أولَ مرَّةٍ؛ فإنَّه بكُلِّ شيءٍ عليم.

ثم بيَّن –سبحانه وتعالى– حِكْمَتَه في إعادة الأبدانِ وقيامِ الساعة بقوله: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾؛ أَيْ: سَعَوْا فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وإبطال الآيات المنزَّلةِ على الرُّسُل حالةَ كونِهم في سَعْيِهِم مُسابِقِين يحسبون أنهم يفوتوننا، وأنَّ الله لا يَقدِرُ على بَعْثِهم في الآخرة، وظنوا أنَّا نُمهِلُهم؛ وذلك باعتقادهم أنَّهم لا يُبعَثون، وهذا على قراءة (معاجزين)، ومَن قرأ (مُعَجِّزِينَ)، فالمعنى: مُثَبِّطِينَ للناس عن الإيمان بالآيات ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾؛ أي لِينعَمَ السُّعَدَاءُ من المؤمنين، ويُعذَّب الأشقياءُ من الكافرين"[24]، بالعذاب الأليم؛ أي: بليغ الألم، و(أَلِيمٍ)، بالجَرِّ على قراءةٍ[25]، نعتٌ للرِّجْزِ؛ فإنَّ الرِّجزَ هو العذاب، بدلالة قوله: ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ﴾ (الأعراف: 134)، وقوله: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقرة: 59). وعلى قراءة الرفع، فهو نعتٌ للعذاب، ولمَّا كان ذنبُهم عظيمًا، جاء باسم الإشارة (أولئك)؛ أي البُعَدَاء البُغَضَاء الحقيرون عن أن يبلغوا مرادًا بمعاجزتهم، ولم يُبيِّن –سبحانه وتعالى– في سورة سبأ نوعَ العذابِ، ولكنَّه بيَّنَه في سورة الحج، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١ ﴾ (الحج: 51)، وسِرُّ التعبيرِ بالماضي (سعوا) –والله أعلم– أنه "لمَّا كانت أدلة الساعة قد اتَّضَحَتْ، حتى لم يبقَ مانعٌ من التصديق بها إلَّا العِنادُ، وكان السياق لتهديد مَن

---

[24] ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج6، ص495، الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، ج4، ص359، البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج15، ص448، الواحدي، علي بن أحمد، **التفسير البسيط**، ج18، ص313، القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير القرطبي**، ج14، ص261، الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج6، ص264.

[25] قرأ ابن كثير وحفص بالرفع، وباقي السبعة بالجر. ينظر: الداني، عثمان بن سعيد، **التيسير في القراءات السبع**، ص180، ابن الجزري، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص349.

جَحَدَها، قال معبِّرًا بالماضي: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ ﴾؛ أي: فَعَلُوا فِعلَ الساعي ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: على ما لها من العظمة"[26].

"فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ عُلِمَ كَوْنُ سَعْيِهِمْ فِي الْإِبْطَالِ مَعَ أَنَّ الْمَذْكُورَ مُطْلَقُ السَّعْيِ؟ فَنَقُولُ: فُهِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُعَٰجِزِينَ ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ حَالٌ مَعْنَاهُ: سَعَوْا فِيهَا، وَهُمْ يُرِيدُونَ التَّعْجِيزَ، وَبِالسَّعْيِ فِي التَّقْرِيرِ وَالتَّبْلِيغِ لَا يَكُونُ السَّاعِي مُعَاجِزًا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ وَآيَاتِ اللَّهِ مُعْجِزَةٌ فِي نَفْسِهَا، لَا حَاجَةَ لَهَا إِلَى أَحَدٍ، وَأَمَّا الْمُكَذِّبُ فَهُوَ آتٍ بِإِخْفَاءِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَيَحْتَاجُ إِلَى السَّعْيِ الْعَظِيمِ وَالْجَدِّ الْبَلِيغِ؛ لِيُرَوِّجَ كَذِبَهُ لَعَلَّهُ يُعْجِزُ الْمُتَمَسِّكَ بِهِ. وَقِيلَ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مُعَٰجِزِينَ ﴾؛ أَيْ: ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يُفوتونَ اللَّهَ، ويسبقونه فلا يجازيهم، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ كَوْنُ السَّاعِي سَاعِيًا بِالْبَاطِلِ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ، وَ(لَهُمْ عَذَابٌ) فِي مُقَابَلَةِ (لَهُمْ رِزْقٌ)"[27].

أمَّا الموضعُ الثالث؛ ففي قوله –تعالى–: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾ (سبأ: 34–38). "لَمَّا قَصَّ سُبْحَانَهُ حَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْكُفَّارِ، أَتْبَعَهُ بِمَا فِيهِ التَّسْلِيَةُ لِرَسُولِهِ، وَبَيَانِ أَنَّ كُفْرَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الرُّسُلِ، هُوَ كَائِنٌ مُسْتَمِرٌّ فِي الْأَعْصُرِ الْأُوَلِ"[28].

و"يُخبِر تعالى عن حالة الأُمَم الماضية المكذِّبَةِ للرُّسُل، أنَّها كحال هؤلاء الحاضرين المكذِّبين لرسولهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأنَّ الله إذا أَرسَلَ رسولًا في قريةٍ من القرى، كَفَرَ به مُترَفُوها، وأبطَرَتْهُم نِعمَتُهُم، وفخروا بها.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا ﴾؛ أي: ممَّن اتَّبَعَ الحقَّ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾؛ أي: أوَّلًا لسنا بمبعوثين، فإنْ بُعِثْنا، فالذي أعطانا الأموالَ والأولادَ في الدنيا، سيعطينا أكثرَ من ذلك في الآخرة ولا يعذبنا. فأجابهم الله تعالى، بأنَّ بَسْطَ الرِّزقِ وتضييقَه، ليس دليلًا على ما زعمتم؛ فإنَّ الرزق تحت مشيئةِ اللهِ، إن شاء بَسَطَه لعبده، وإن شاء ضيَّقَه. وليست الأموال والأولاد بالتي تُقرِّب إلى الله زُلْفَى وتُدنِي إليه، وإنما الذي يُقرِّب منه زلفى، الإيمانُ بما جاء به المرسَلون، والعملُ الصالح الذي هو من لوازم الإيمانِ، فأولئك لهم الجزاءُ عند الله –تعالى– مضاعَفًا الحسنةُ بعَشْرِ أمثالها، إلى سبعمائة ضعفٍ، إلى

---

[26] البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج15، ص448.

[27] ينظر: الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص193، مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية** ج9، ص5886.

[28] الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، ج4، ص378.

أضعافٍ كثيرة، لا يعلمها إلَّا الله. ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾؛ أي: في المنازل العاليات المرتفعات جدًّا، ساكنين فيها مطمئنين، آمنون من المكدِّرات والمنغِّصات، لِمَا هم فيه من اللَّذَّات، وأنواع المشتَهَيَاتِ، وآمنون من الخروج منها والحزن فيها. ولمَّا ذكر –سبحانه– حالَ المؤمنين، ذكر حالَ الكافرين، وهذا على عادة القرآن في تعقيب الترغيب بالترهيب وعكسه، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ على وجه التعجيز لنا ولرسلنا والتكذيب، ﴿ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ تُحضِرُهم الملائكةُ فيها"[29].

والسعيُ "إِذَا عُدِّيَ بِـ(فِي)، كان في الْغَالِبِ مُرَادًا مِنْهُ الاجْتِهَادُ فِي الْمَضَرَّةِ"[30].

واسمُ الإشارة (أولئك)، للتنبيه على أنَّهم استحقوا الإحضارَ إلى النار؛ لأجلِ ما ذُكر قبلَ اسمِ الإشارة مِن سَعْيِهِم في آيات الله معاجزين[31]، وحُذفت فاء السببية من (أولئك)؛ لأنه –والله أعلم– "لمَّا كان –سبحانه– قد بَتَّ الحكمَ بشقاوتهم، وأنفذ القضاءَ بخسارتهم، أَسقَطَ فاءَ السببِ؛ إعراضًا عن أعمالهم، وقال: ﴿أولئك ﴾؛ أي: البُعَدَاء البُغَضَاء"[32]. وفي سِرِّ التعبير بالفعل المضارع (يسعون) –والله أعلم– أنه "لمَّا كان في سياق الترغيب في الإيمان بعد الإخبار بأنه بشيرٌ ونذيرٌ، قال معبِّرًا بالمضارع بيانًا لحال مَن يُبعِدُه مالُه وولدُه من الله: ﴿والذين يسعون ﴾؛ أي: يُجدِّدُون السعيَ من غير توبةٍ بأموالهم وأولادهم"[33].

---

[29] ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن**، ص681.

[30] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج22، ص218.

[31] ينظر: **المصدر نفسه**، ج22، ص218.

[32] البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج15، ص516.

[33] **المصدر نفسه**، ج15، ص516.

المبحث الثالث: السعيُ في خراب بيت الله

وَرَدَ ذلك في قول الله –تعالى–: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ ﴾ (البقرة: 114)، بدأت الآيةُ الكريمةُ باستفهام "إنكارٍ واستبعادٍ لأنْ يكون أحدٌ أظلمَ ممن مَنَعَ مساجدَ اللهِ مِن ذِكر الله"[34].

والآيةُ دلَّت بعمومها على "أنَّ كلَّ مانعٍ مصلِّيًا في مسجد لله –فرضًا كانت صلاتُه فيه أو تطوعًا– وكلَّ ساعٍ في إخرابه فهو من المعتَدِينَ الظالمين"[35].

ثم عَطَفَ السعيَ في خراب المساجد على المنعِ من ذكر الله فيها، "وَالْمُرَادُ بِالسَّعْيِ فِي خَرَابِهَا: هُوَ السَّعْيُ فِي هَدْمِهَا، وَرَفْعِ بُنْيَانِهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْخَرَابِ: تَعْطِيلُهَا عَنِ الطَّاعَاتِ الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا، فَيَكُونُ أَعَمَّ مِنْ قَوْلِهِ: أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، فَيَشْمَلُ جَمِيعَ مَا يُمْنَعُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي بُنِيَتْ لَهَا الْمَسَاجِدُ؛ كَتَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ، وَالْقُعُودِ لِلِاعْتِكَافِ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، مِنْ بَابِ عُمُومِ الْمَجَازِ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: 18)"[36].

ثم بيَّن –سبحانه وتعالى– جزاءَهم في الدنيا والآخرة، فـ"ذَكَرَ لَهُمْ عُقُوبَتَيْنِ؛ دُنْيَوِيَّةً، وَهِيَ الْخَوْفُ وَالْخِزْيُ، وَأُخْرَوِيَّةً، وَهِيَ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ"[37].

---

[34] القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ج1، ص378.

[35] الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري**، ج2، ص523.

[36] الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، ج1، ص153.

[37] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج1، ص681.

المبحث الرابع: السعي إلى الإفساد في الأرض وإهلاك الحَرْثِ والنَّسْل

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ (البقرة: 204- 206).

تحدَّثَت الآياتُ الكريمات أنَّ مِن الناس مَن يروق ويَعظُم فى قلبك قولُه في الدنيا، لا في الآخرة، ويحلف ويقول: الله شاهد على ما في قلبي من محبَّتِك ومِن الإسلام، وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين، وإذا ذهب عنك بعد إلَانَةِ القولِ وإحلاء المنطقِ؛ سعى في الأرض فسادًا بإهلاك الحَرْثِ والنَّسْلِ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾.

وإذا قيل له: اتَّقِ اللهَ في الإفساد والإهلاك، حَمَلَتْه الأَنَفَةُ وحَمِيَّةُ الجاهليَّةِ على الإثم، فـ"كافِيهِ جَهَنَّمُ إذا صار إليها واستقرَّ فيها جزاءً وعذابًا، (وَلَبِئْسَ الْمِهادُ)؛ أي: الفراشُ الذي يستقرُّ عليه بدلَ فرشِ عزَّتِه"[38].

والآياتُ وإن كان لها سببُ نزولٍ، على خلافٍ بين العلماء فيمن نزلت، إلَّا أنَّ الصحيح أنَّ "ذلك عَامٌّ فِي الْمُنَافِقِينَ كُلِّهِمْ، وَفِي الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ"[39].

و"السعي هنا: هو القصدُ والعمل، لا السعي على الأقدام"[40].

وهذا المُفسِد أعوجُ المقالِ، سيِّئُ الفِعال؛ فكلامُه كذبٌ، واعتقادُه فاسد، وأفعالُه قبيحةٌ، وليس له هِمَّةٌ إلَّا الفساد في الأرض، وإهلاكُ مكانِ نماءِ الزروع والثمار، وما تُنتجه الحيوانات مما لا قوامَ للناس إلَّا بهما؛ سواءٌ بفِعلِه مباشرةً، أو بسبب ظُلمِه الذي يمنع القطرَ، فيهلك الحرث والنسل.

---

[38] النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج1، ص174-175، القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ج2، ص83.

[39] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج1، ص562.

[40] ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس، **تفسير الإمام الشافعي**، ج1، ص323، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج1، ص562.

المبحث الخامس: السعيُ لتَرْوِيعِ الآمِنِين (قطع الطريق)

وَرَدَ ذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾ (المائدة: 33-34).

"وهذا بيانٌ من الله -عزَّ ذِكرُه- عن حُكم (الفساد في الأرض)، الذي ذكره في قوله: {من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض}، أَعلَمَ عبادَه ما الذي يستحق المفسدُ في الأرض من العقوبة والنكال، فقال -تبارك وتعالى-: لا جزاءَ له في الدنيا إلَّا القتلُ، والصَّلْب، وقطعُ اليد والرِّجل من خلافٍ، أو النفي من الأرضِ، خزيًا لهم. وأمَّا في الآخرة إن لم يَتُبْ في الدنيا، فعذاب عظيم"[41].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾: "بيان للحِرابة، وهي على درجاتٍ؛ أدناها: إخافةُ الطريقِ، ثم أَخْذُ المالِ، ثم قَتْلُ النَّفْسِ.. قال الشافعي وغيرُه: هذه العقوبات مرتَّبةٌ، فمَن قَتَلَ وأَخَذَ المالَ، قُتِلَ وصُلِب، ومَن قَتَلَ ولم يأخذ المالَ، قُتِلَ ولم يُصلَبْ، ومَن أخذ المالَ ولم يقتل، قُطِعت يدُه ورِجلُه، ومَن أخاف السبيلَ ولم يقتل ولم يأخذ مالًا، نُفِيَ"[42].

وهذا "يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ؛ سَوَاءٌ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُسْلِمًا، أَقْصَى مَا فِي الْبَابِ أَنْ يُقَالَ: الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ، لَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ"[43].

---

[41] الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري**، ج10، ص243.

[42] ابن جزي، محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج1، ص230.

[43] الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص346.

المبحث السادس: السعي الضَّالُّ بحِسْبان القبيحِ حَسَنًا

ورد ذلك في قوله –عزَّ وجلَّ–: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ (الكهف: 103–106).

ومعنى الآية:

"أي: قُلْ أيُّها الرسول لهؤلاء الذين يجادلونك بالباطل من أهل الكتابَيْن؛ اليهود والنصارى: هل نخبركم بالذين أتعبوا أنفسَهم فى عملٍ يبغون به ثوابًا وفضلًا، فنالوا به هلاكًا وبوارًا، كالمشتري سلعةٍ يرجو بها ربحًا، فخاب رجاؤه، وخَسِرَ بيعَه، ووُكِسَ فى الذي رجا فضلَه؟

وخلاصةُ ذلك: أنَّهم عمِلوا بغير ما أمرهم الله به، وظنوا أنهم بفِعْلِهم هذا مُطِيعون له، وأنهم يُحسِنون صُنعًا! ثم استبان لهم أنهم كانوا مخطئين، وفى ضلالٍ مبين، وأنَّ سَعْيَهم الذي سعوه فى الدنيا ذهب هباءً، فلم يُجْدِهِم نقيرًا ولا قَطْمِيرًا!

ثم بيَّن السببَ فى بطلان سَعْيِهِم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾؛ أي: إن هؤلاء الأخسرين أعمالًا هم الذين كفروا بالدلائل المنبثَّةِ في الآفاق والأنفُس التي تدعو إلى توحيده، وكَفَروا بالبَعْثِ والحساب وما يتبع ذلك من أمور الآخرةِ، ومِن ثَمَّ حَبِطَت أعمالُهم، فلم يكن لها ثوابٌ ينفع أصحابَها، بل لهم منها عذابٌ وخِزْيٌ طويل، ولا تَثقُل بها موازينُهم؛ لأنَّ الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهم منها شيء.

ثم بيَّن مآلَهُم بسبب كُفرِهم وسائر مَعَاصِيهِم إثرَ بيانِ أعمالِهم المحبَطَةِ بذلك الكُفرِ، فقال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾؛ أي: إنَّما جازَيْنَاهم بهذا الجزاءِ، بسبب كُفرِهم واتخاذِهم رُسلَ اللهِ ومعجزاتهم التي أظهرها على أيديهم هُزؤًا وسُخرِيَةً، فلم يكتفوا بالكفر بها، بل ارتكَبُوا هذه الحماقةَ التي هى أعظمُ أنواع الاحتقار"[44].

" والذي يوجب إحباطَ السَّعيِ، إمَّا فسادُ الاعتقادِ، أو المُرَاءَاةِ، والمراد هنا: الكفرُ"[45].

"والآية معناها التوبيخ؛ أي: قل لهؤلاء الكَفَرَةِ الذين عَبَدُوا غيري، يخيب سعيُهم وآمالُهم غدًا؛ فهم

---

[44] المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، ج16، ص23.

[45] القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير القرطبي**، ج11، ص65.

الأَخسَرُون أعمالًا، وهم ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ في عبادةِ مَن سِوَايَ"[46].

و"(أعمالًا) تمييزٌ، وإنَّما جُمِعَ والقياسُ أن يكون مفردًا؛ لتنوُّعِ الأهواء، وهم أهل الكتاب، أو الرهبان"[47].

"﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ ﴾؛ أي: ضاع وبَطَلَ بالكُلِّيَّة عندَ اللهِ -عزَّ وجلَّ- ﴿سَعۡيُهُمۡ ﴾ في إقامة تلك الأعمالِ، ﴿فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾ متعلِّقٌ بـ(سعى) لا بـ(ضل)؛ لأنَّ بُطلانَ سعيِهم غيرُ مختَصٍّ بالدنيا"[48].

"وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ ﴾ بدلٌ من ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا ﴾، وفي هَذَا الْإِطْنَابِ زِيَادَةُ التَّشْوِيقِ إِلَى مَعْرِفَةِ هَؤُلَاءِ الْأَخْسَرِينَ؛ حَيْثُ أَجْرَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْصَافِ مَا يَزِيدُ السَّامِعَ حِرْصًا عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَوْصُوفِينَ بِتِلْكَ الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ"[49].

"وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي تَعْيِينِ هَؤُلَاءِ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا؛ فَقِيلَ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقِيلَ: كُفَّارُ مَكَّةَ، وَقِيلَ: الْخَوَارِجُ، وَقِيلَ: الرُّهْبَانُ أَصْحَابُ الصَّوَامِعِ؛ وَالْأَوْلَى حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى الْعُمُومِ لِكُلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ"[50].

---

[46] **المصدر نفسه**، ج11، ص66.

[47] النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج2، ص322.

[48] ينظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني**، ج8، ص368.

[49] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج16، ص46.

[50] الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، ج3، ص373.

المبحث السابع: سعيُ اليهودِ بالإفساد في الأرض

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ (المائدة: 64).

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ مقبوضةٌ عن العطاء وإسباغ النِّعم علينا، قالوا هذا حين كفَّ الله – تعالى– عنهم بكُفرِهم بمحمَّد –عليه السَّلام– ما كان يسلِّط عليهم من الخِصب والنِّعمة، فقالوا – لعنهم الله– على جهة الوصف بالبخل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾!!

وقوله: ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾؛ أي: جُعِلُوا بخلاءَ وأُلزِموا البخلَ؛ فهم أبخلُ قومٍ ﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ عُذِّبوا في الدُّنيا بالجِزية والذلَّة والصَّغار والقحط والجلاء، وفي الآخرة بالنَّار؛ ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾، يَعْنِي: يَدَا اللهِ مبسوطتان، يرْزق وَيُنْفِق كما يريد؛ إن شاء قتَّر، وإنْ شاء وسَّع ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ﴾، كلَّما أُنزِلَ عليك شيءٌ من القرآن كفروا به، فيزيد كفرَهم، ﴿ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ بين طوائفِ اليهود، وجعَلَهم الله مختلفين متباغضين، كما قال: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ (الحشر: 14)، ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ ﴾ كلَّما أرادوا محارَبَتَكَ ردَّهم اللهُ وأَلزَمَهُم الخوفَ، ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ ﴾؛ يعني: يجتهدون في دَفْعِ الإسلام ومحوِ ذِكْرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم من كتبهم، ويعملون بمعصية الله، فيكفرون بآياته، ويُكذِّبون رُسُلَه، ويخالفون أمرَه ونَهْيَه، وذلك سعيُهم فيها بالفساد.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾؛ يقول: والله لا يحب من كان عامِلًا بمعاصيه في أرضه[51].

وقد ذكر الله –تعالى– في هذه الآية صفةً من صفات اليهود، وهي: أنَّ "مِنْ سَجِيَّتِهِمْ أَنَّهُمْ دَائِمًا يسعوْن فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ"[52].

و(فَسادًا) إمَّا مفعول له؛ أي: يسعون لأجل الفساد، أو في موقعِ المصدر؛ أي يسعون سعيَ فسادٍ، أو في تأويل الحال؛ أي: حالة كونهم مُفسِدِين، و(اللام) في المفسدين إمَّا للجنس، وهم داخلون فيه دخولًا

---

[51] ينظر: الواحدي، علي بن أحمد، **التفسير الوجيز**، ص327، السمعاني، منصور بن محمد، **تفسير السمعاني**، ج2، ص51، الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري**، ج10، ص461.

[52] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج3، ص147.

أوليًا، أو للعهد، ووضع المُظهَر موضعَ المضمَر؛ لبيان كونِهم راسخين في الإفساد[53].

و"يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالسَّعْيِ نَقْلَ الْأَقْدَامِ أَيْ: لَا يَكْتَفُونَ فِي إِظْهَارِ الْفَسَادِ إِلَّا بِنَقْلِ أَقْدَامِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَيَكُونُ أَبْلَغَ فِي الِاجْتِهَادِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ الْعَمَلُ وَالْفِعْلُ أَيْ: يَجْتَهِدُونَ، فِي كَيْدِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمَحْوِ ذِكْرِ الرَّسُولِ مِنْ كُتُبِهِمْ"[54].

---

[53] ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ج4، ص189، أبو السعود، محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص59.

[54] أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص318.

المبحث الثامن: السعيُ إلى البُخل بإعطاء الحقّ

وقد جاء ذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ (الليل: 1-11).

"أَقسَمَ الله عزَّ وجلَّ بالليل إذا غطَّى الأرض وجميعَ ما فيها، وبالنهار إذا ظهر وأنار الآفاق، وأقسم -سبحانه وتعالى- كذلك بأنه خالق الذكور والإناث، أو بخلقه للذكر والأنثى، و المقسَم عليه أنَّ سعيَ المكلَّفين متفاوتٌ تفاوتًا كثيرًا، وذلك بحسَب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجهُ اللهِ الأعلى الباقي، فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غايةٌ مضمَحِلَّة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها؟"[55].

والعلاقة بين المقسَم به والمقسَم عليه، أنه "لَمَّا كَانَ الْقَسَمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ كَانَ الْقَسَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾؛ أَيْ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةٌ أَيْضًا وَمُتَخَالِفَةٌ؛ فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا، وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا"[56].

ثم بيَّن -سبحانه وتعالى- الصنف الثاني من الساعِين، في قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى.. ﴾ الآيات؛ أي: "وأمَّا مَن بَخِلَ بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضله مِن صَرْفِه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها، واستغنى عن ربِّه، فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته بالزيادة فيما خوَّلَه من ذلك، وكذَّب بالخلف من الله أو كذَّب بتوحيد الله، أو كذب بالجنة؛ فسنُهَيِّئُه في الدنيا للخصلة العسرى"[57].

قال الْعُلَمَاءُ: ثَبَتَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وبقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 3)، وَقَوْله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ (البقرة: 274) إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ- أَنَّ الْجُودَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْبُخْلَ مِنْ أَرْذَلِهَا، وَلَيْسَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِي فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْعَطَاءِ، وَلَا الْبَخِيلَ الَّذِي يَمْنَعُ فِي مَوْضِعِ الْمَنْعِ، لَكِنَّ الْجَوَادَ الَّذِي يُعْطِي فِي مَوْضِعِ الْعَطَاءِ، والبخيل الَّذِي يَمْنَعُ فِي مَوْضِعِ الْعَطَاءِ، فَكُلُّ مَنِ اسْتَفَادَ بِمَا يُعْطِي أَجْرًا وَحَمْدًا فَهُوَ الْجَوَادُ، وَكُلُّ مَنِ اسْتَحَقَّ بِالْمَنْعِ ذَمًّا أَوْ عِقَابًا فَهُوَ الْبَخِيلُ.

---

[55] ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، ج5، ص490، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن**، ص926.

[56] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير ابن كثير**، ج8، ص417.

[57] الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري**، ج24، ص471، بتصرف.

وَمَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ بِالْعَطَاءِ أَجْرًا وَلَا حَمْدًا، وَإِنَّمَا اسْتَوْجَبَ بِهِ ذَمًّا فَلَيْسَ بجواد، وإنما هو مُسَوِّفٌ مَذْمُومٌ، وَهُوَ مِنَ الْمُبَذِّرِينَ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ، وَأَوْجَبَ الْحَجْرَ عَلَيْهِمْ. وَمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْ بِالْمَنْعِ عِقَابًا وَلَا ذَمًّا، وَاسْتَوْجَبَ بِهِ حَمْدًا، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الرُّشْد، الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْقِيَامَ عَلَى أَمْوَالِ غَيْرِهِمْ، بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِمْ وَسَدَادِ رَأْيِهِمْ"[58]. ومما يؤيّدُ ما جاء في الآية الكريمةِ، قولُ النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[59].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾؛ أي: وما يفيده مالُه –الذي تعب في تحصيله، وأفنى عمره في حِفظِه، وبَطِرَ الحقَّ لأجله– إذا هلك، من قولهم: (تردَّى من الجبل، وفي الهوَّة)، وفي التعبير بـ(تردى) إشارة إلى أنَّ هلاكه بما قدَّمه من أعماله الخبيثة، هو المهلك والموقِع لنفسه"[60].

"فَإِن سَأَلَ سَائل قَالَ: كَيفَ يستقيم قَوْله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وَكَيف ييسر العسير؟ أجَاب عَن هَذَا: أَن هَذَا مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣﴾ (التوبة: 3)، فوضع البشارةَ مَوضِعَ الوَعِيدِ بالنَّار، وَإِن لم تكن بِشَارَةً على الحَقِيقَةِ، كذلك وضع التَّيْسِير فِي هذا الموضع، وإن كان تعسيرًا فِي الحقيقة"[61].

---

[58] القرطبي، محمد بن أحمد، **تفسير القرطبي**، ج20، ص84-85.

[59] مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ، رقم (1010)، ج2، ص700.

[60] ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ج9، ص486، بتصرف.

[61] السمعاني، منصور بن محمد، **تفسير السمعاني**، ج6، ص238.

الخاتمة

الحمد لله على ما يسَّر من كتابة هذا البحثِ، وأسأل الله أن يضع له القَبُولَ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وفي هذه الخاتمة، سأذكر بعض النتائج والتوصيات.

أمَّا النتائج، فمنها:

1- أن السعي في القرآن نوعان؛ سعيٌ صالح محمود؛ كالسعي إلى ذكر الله، وسعيٌ فاسد مذموم.

2- أنَّ السعي الفاسد ورد منه في القرآن الكريم ثمانية أنواع؛ وهي: السعي إلى ادِّعاء الألوهيَّةِ، السعي إلى إبطال آيات الله تعالى، السعي في خراب مساجد الله، السعي إلى الإفساد في الأرض وإهلاك الحرثِ والنَّسْل، السعي لترويع الآمِنِين (قطع الطريق)، السعي الضَّالُّ بحسبان القبيح حسنًا، سعيُ اليهودِ بالإفساد في الأرض، السعي إلى البُخل بإعطاء الحق.

3- أن السعي الفاسد قد يَصدُر من الكافر، أو المشرك، أو اليهود، أو الفاسق.

4- أن تدبر آيات القرآن الكريم الواردة في بيان طرق السعي الفاسد، مما يعين على تجنبه والوقاية منه.

وأمَّا التوصياتُ؛ فمنها:

1- التركيز على الدراسة الاستقرائية في تناول الموضوعات القرآنية، ودراستها دراسة تفصيلية.

2- العناية بإشارات المفسرين في التفسير الموضوعي، وتتبعها، وإفرادها بالبحث والدراسة.

3- تتبع الموضوعات الاجتماعية في القرآن الكريم، ودراستها بحسب أصول التفسير الموضوعي.

وصلى الله على نبيّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

1- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ).

2- البريدي، أحمد بن محمد البريدي وآخرون، **موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، (الرياض: دار التدمرية، د.ط، د.ت).

3- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).

4- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ).

5- ابن الجزري، أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، **النشر في القراءات العشر**، المحقق: علي محمد الضباع، (مصر: المطبعة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت).

6- ابن الجزري، أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، **تحبير التيسير في القراءات العشر**، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، (الأردن: دار الفرقان، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م).

7- ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ).

8- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت).

9- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، المحقق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ).

10- الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان، **التيسير في القراءات السبع**، المحقق: أوتو تريزل، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية، 1414هـ - 1984م).

11- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ).

12- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ).

13- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

14- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

15- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي، **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وآخرون، (السعودية- الرياض: دار الوطن، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

16- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، (المملكة العربية السعودية: دار التدمرية، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

17- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (لبنان- بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م).

18- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **فتح القدير**، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ).

19- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م).

20- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ).

21- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ).

22- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **مجمل اللغة**، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

23- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ).

24- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وآخرين، (القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م).

25- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد السلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

26- أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، (جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).

27- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (بيروت: دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

28- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، **الوجوه والنظائر**، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

29- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الشافعي، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: عمادة البحث العلمي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ).

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت: دار القلم, الدار الشامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ).